بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبالتزام شرعته تندحر الأهواء والضلالات، وباتباع الحق تتلاشى موازين الباطل والترهات، إذ لا حق إلا ما جعله الله تعالى حقًا، ولا باطل إلا ما جعله الله تعالى باطلًا.

فلا حسن إلا في اتباع الحق والتجرد من الهوى، ولا قبح إلا في التمرد على الحق والثورة على قيم الصدق والعدل.

إذ لا حسن أبلغ من عدل الإنسان فى الحكم في حالتى الرضا والغضب معًا، لا فى الأولى دون الثانية، وهذا معيار الصدق ومقياس الحق.

وبالحق يعرف الرجال..

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين، ورسول رب العالمين، الصادق في ذاته، والذى استنطق الواقع بآيات صدقه وبينات اعتداله، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، فرضى الله تعالى عنهم إلى يوم الدين.

وبعد..

فمنذ أمد بعيد وتاريخ الإنسانية يعرف حكماء وعقلاء، أقروا أن الحق قيمة سامية، وشرف في ذاته، يستقطب أولى الألباب، والصادقين والصالحين.

بيد أن هذا لا يمنع أن يكون للحق أعداءٌ، كما كان للدين أعداء استقطبوا شرائح المجتمع ضده وضد دعاته والقائمين على أمره. والقرآن الكريم والسنة الشريفة يقصان لنا أروع قصص النضال والمقاومة من أصحاب الحق لدعاة الباطل، كما يحدثانا عن حروب اشتد أوارها بين النماذج البشرية الخالدة – الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه – وبين الآثمين المعتدين المتمردين على القيم والمبادىء والمثل.. أعداء الدين والحق.

فكم من نبى حاول قومُه اغتياله، فلم يُفلحوا!!

وكم من نبى قتلته يد اليهود الغادرة!!

وكم من حق صيروه باطلاً!!

وكم من دين حرفوه وأشاهوا وجه الحق فيه!!

وكم من باطل قيموه فأعلوا من قيمته!!

وكم من جميل قبحوه!!

وكم من صالح أفسدوه!!

حتى قال المسيح لأورشليم: "يا أورشليم يا قتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليك"، ومع ذلك فقد آل النصارى مآل اليهود ونحوا منحاهم حيث حرفوا دينهم وطمسوا معالمه.

ولم يسلم الإسلام ذاته من حملات التمرد وأفاعيل المعارضة حتى إن رسوله محمدًا ﷺ لم يسلم من أذى قومه، ولم يسلم من محاولات اغتيال متكررة، لولا أن الله تعالى حفظه منها ونجاه، وإن ائتلفت قوى اليهود والنصارى مع قوى المشركين من قومه ومن القبائل العربية المجاورة له فى مكة، وبعد مهاجره إلى المدينة ﷺ، وقد كانت الحرب بالسيف والفكرة.

ولكن الله تعالى ناصر دينه ومعز المؤمنين به.

إنها الحرب الدائرة منذ القدم، ضد الدين ورسله ودعاته من قبل أعداء الدين ودعاة الباطل.. أدعياء الحق!! ولم تزل هذه الحرب دائرة حتى الآن، لكنها تتشكل وتتلون بلون العصر، وتتغير بتغير الظروف والأحوال.

ونحن لن نفترض فى أهل زماننا خاصة الذين لا يدينون بالإسلام أن يكونوا أفضل من سابقيهم من دعاة الباطل مهما ادعوا العلمية، ورفعوا شعار المنهجية إلا من تجرد للحق وأعلى قيمته، فكثير منهم صنفوا أنفسهم من محاربى الحق والثائرين على الدين المتمردين على قيمه وفضائله ـ خاصة الدين الإسلامى فهم الذين صنفوا أنفسهم، لا نحن، إن لم يكن بلسان المقال فبلسان الحال.

فمنذ قيام الحركة الفكرية الاستشراقية الغربية الصليبية المناوئة للإسلام وأهله، إثر الانتصارات الإسلامية الساحقة على مدى فترات التاريخ فى معاقل النصرانية فى بلادهم وخارجها، وانضمام قوى الصهيونية العالمية المعادية للإسلام إليها، قامت أشرس حرب فكرية عاتية ضد الإسلام والمسلمين، تحاول النيل من قيمه ومبادئه وقضاياه وأهدافه، وكذا أتباعه، حتى أصبحت هذه الحرب من كبريات المعارك التاريخية ضد الدين الحق ودعاته.. وأصبحت أكبر ملحمة يناضل الحق فيها ضد القوى المعادية له والتى تحاول طمس معالمه.. قوى تدفعها مؤسسات، وتؤويها دول، وتمولها جهات مغرضة آثمة، وأُضفِى عليها صبغة البحثية، والعلمية، والمنهجية تمويهًا وتضليلاً!!.

إنها لم تقتصر على قضية تنتمى إلى هذا الدين الحق بعينها ـ وإنما تعدت لتشمل محاربة كل قضاياه، كبرت أو صغرت، سواء أكانت "فكرة مُحدَثة" أو "تراثًا عظيمًا".. فى مجال الفكر أو فى مجال العقيدة والشريعة والأخلاق.

وكان من بين هذه القضايا التى اهتمت بها قرائح المستشرقين اهتمامًا مغرضًا، وتوجهت إليها أقلامهم، قضية "الجهاد" فى الإسلام، فى محاولة مغرضة لتشويه صورة الإسلام.

إذ تعنى فى نظرهم أن الإسلام انتشر بالسيف والقوة والقهر، وليس بالحوار والإقناع!!

وقد رأيت أن أتناول هذه القضية، وهى قضية "قديمة جديدة" لأبين وجه الحق فيها، وأبين مدى تهافت المستشرقين الذين أثاروها، معتمدًا فى منهجية البحث على ما يلى:

١- المنهج الاستردادى؛ لأتمكن من سوق النصوص الإسلامية فيما يتعلق بهذه القضية وأتتبع مسارها.

٢- المنهج الاستقرائى الذى يمكن الباحث من استقصاء وتتبع النصوص لتفحص الظاهرة أو القضية المثارة للبحث من كل جوانبها تناولا ومعالجة.

٣- المنهج النقدى: الذى يمكن الباحث من تلمُّس آثار الشبهة وإبداء معالمها وتوضيح حقيقتها، ثم تسليط رؤى النقد الموضوعى عليها.

هذا ويتكون البحث مما يلى:

أولاً: تصوير الشبهة.

ثانيًا: تفنيد الشبهة.

وقد اعتمدت فى تفنيد الشبهة على ما يلى:

١- تفنيد الشبهة من خلال بين معنى آية السيف.

٢- تفنيد الشبهة من خلال بيان حرية اختيار العقيدة فى الإسلام.

٣- تفنيد الشبهة من خلال بيان طبيعة الحرب فى الإسلام.

٤- تفنيد الشبهة من الوسط التى خرجت منه.

٥- تفنيد الشبهة من خلال بيان أسس قيام الدولة الإسلامية.

٦- تفنيد الشبهة من خلال الحوار والتفاوض فى المعارك الفاصلة فى تاريخ الإسلام.

ومن خلال ذلك أبين طبيعة انتشار الدين الإسلامى ببيان آراء العلماء حول

آيات السيف فى القرآن الكريم، وبيان أنه "أى السيف" حالة طارئة تفرضها الظروف، وليست أصلاً لقيام تنظيم اجتماعى ونسيج دولى.

ثم أبيِّن أسس قيام الدولة الإسلامية والتى اعتمدت على المعاهدات مع غير المسلمين، والإخاء بين المسلمين، وإقرار السلم كأصل لقيام الدولة.

ثم أتحدث عن الفرص التاريخية التى وفرها قادة المسلمين للحوار لفض النزاع أثناء المعارك الفاصلة فى تاريخ الإسلام بين الإسلام وأعدائه، وإن نجح البعض منها إلا أن البعض الآخر لم ينجح.

ولم يرجع ذلك إلى رغبة المسلمين فى القتال أو استمرار الحرب، وإنما يرجع إلى تعنت أعداء الإسلام، وتفويت كل فرصة أتاحها قادة المسلمين لإنجاح الحوار.

ثالثًا: الخاتمة متبوعة ببيان قائمة المراجع والفهارس.